

روما ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٣

ميراث الأب هنري كافاريل

مقدمة:



ولد الأب كافاريل، المتوفي في ١٨ أيلول ١٩٩٦، في ٣٠ تموز ١٩٠٣. وبمناسبة مرور مئة عام على ولادته، علينا في إطار هذا التجمع للأسر المسؤولة الإقليمية بصحبة العديد من المستشارين الروحيين، أن نتعمق في معرفة الإرث الذي تركه لنا هذا الكاهن خارج المألوف والمؤسس لأخويات عائلات مريم. ومن الواضح أنه ليس في نيتي أن أكتب عن سيرة حياة الأب كافاريل وكتابه. فقد سبق وفعل جان آمان ذلك بكل كفاءة وموهبة. ولا شك أنكم تعلمون أنه قد كتب مؤخراً نبذة روحية رائعة في مخطوطته الصغيرة بعنوان ١٥ يوم من الصلاة مع الأب كافاريل.

وبمعية الأخوية العامة المسؤولة، وجدنا أنه من المفيد أن نبرز بعض الجوانب الأساسية لما قدمه الأب كافاريل للأخويات، عبر تعليمه وكتابه العديدة المتعلقة بتأسيس ونشر وتنشيط الرابطة. ولما كان هو نفسه يعود إلى الماضي لاستخلاص العبر من أجل المستقبل، صار لزاماً علينا فعل ذلك أيضاً في هذه السنوات الأولى من الألفية الجديدة كمسؤولين عن رابطة تركز على الزواج.

ولما كان من اللازم أن نختار، فسوف أقف عند أربع وجهات نظر أساسية، لم ننته من التفكير بها، إذا أردنا أن نكون أمناء "للهبّة اللدنية المؤسسة" للأخويات، وإحياء هذه الهبة في إطار يختلف عن ذلك الذي عاشته الأجيال الأولى. ولنتذكر ما عبّر عنه الأب كافاريل في شانتيلي عام ١٩٨٧، بعد أربعة عشر عاماً من تركه إدارة الأخويات، حيث خرج وبعد تأمل طويل في الهبة المؤسسة بنتيجة متباينة، إذ ترك لإبداع من سيتابعون الطريق، مهمة توجيه مستقبل الرابطة.

روحانية الزوجين

في الأربعينيات من القرن الماضي كانت هناك قلة من (الحركات) الرباطات المسيحية تدمج الزوجين كزوجين. فالالتزامات التي كانت قائمة في الكنيسة، كانت تتوجّه وبشكل منفصل إلى الرجال أو إلى النساء حتى في

القدايس! وبناء على طلب بعض العائلات الشابة وبمساهمتها النشيطة، سيحاول الأب كافاريل تمييز الأسس الروحانية للزوجين.

لقد كانت كلمة روحانية تعتبر خاصة برجال الدين وكان الزواج أقل تقديراً. ويمكن القول أيضاً أن الحياة الجنسية كانت، من وجهة نظر الأوساط الأكثر حماسة، تعتبر تساهلاً لا بد منه يهدف التكاثر وهدئه الرغبة، أما معناها المسيحي فلم يكن قد اكتشف بعد.

وكان هنري كافاريل يؤكد على أنه على العلمانيين "أن يحدّوا وسائلهم ومناهجهم ليصار إلى تكوين روحانية المسيحي المتزوج" (محاضرة إلى مسؤولي الأخويات ١٩٥٢).

ولقد لفتت نظري افتتاحيات الرسالة إلى الأخويات في السنوات الأولى، حيث يقدم كافاريل في حزيران ١٩٥٠ تعريفاً للروحانية: "الروحانية علم يعالج موضوع الحياة المسيحية والدروب التي تؤدي إلى تفتحها التام". وللتو، سيؤكد الأب كافاريل أنه ليس على العائلات التي تعمل على بناء روحانيتها أن تقرب من العالم، بل أن تتعلم، على غرار المسيح، كيف تخدم الله عبر حياتها في العالم. وعليها أن تكتشف أن الروحانية لا تتركب فقط من بعض التصرفات، كالصلاة والزهد، بل تتضمن خدمة الله في المكان التي تتواجد فيه سواء في الأسرة أو في العمل أو في المدينة.

• ويضع كافاريل في وسط هذا الأفق الروحي المنفتح للزوجين تأمله عن الحب وعن الروابط الدقيقة بين حب الله والحب الإنساني، ويعتبر ذلك بمثابة المفتاح:

"يُعتبر الحب الإنساني المرجع الذي يساعدنا على فهم الحب الإلهي، وذلك من خلال قدرته على أن يجعل من الكائنين كائناً واحداً مع المحافظة على شخصية كل واحد منهما. فالحب يساعدنا على اكتساب الفكر السري لوحدة المسيح مع الإنسانية وعلى الاقتران الروحي للنفس مع الله" (حديث عن الحب والنعمة ص ٤٤).

سننوقف هنا عند نقطة مركزية: فانطلاقاً من الخبرة المعاشة للحب بين الزوجين، يمكننا اكتشاف محبة الله وأمانته ورغبته في خيرنا، وفي نفس الوقت يرغب الشريكان الواحد للآخر على الصعيد الإنساني وعلى صعيد الازدهار الديني. وبدون هذين البعدين، سيبقى جبهما ناقصاً، بل ومشوهاً على حد قول الأب كافاريل.

• ويهدف بناء الروحانية، يصرّ الأب كافاريل على تمييز الهدف الحقيقي في الحياة الروحية. وفي إحدى الافتتاحيات التي سماها: الهدف رقم ١، يشير إلى فصل الهدف رقم واحد "الاتحاد بالمسيح" من بين الكثير من الأهداف كتعلم الصلاة أو دراسة الفكر المسيحي التي لن نستبعد أيضاً. فالاتحاد بالمسيح يعني: الاقتداء بالمسيح في كل وقت وفي كل نشاطات الحياة. [...] هذا هو الهدف (رسالة شباط ١٩٥٠).

وبهذا نكون قد وصلنا إلى قمة روحانية القديس بولس! الهدف جوهرية. ولما كان الأب كافاريل لا يجب الحل الوسط، فإنه يفهم من عبارة المتطلبات الروحية: "التسديد الصحيح". صحيح أن الحياة المسيحية تفترض الالتزام بعقيدة وممارسة أخلاقية معينة والمشاركة في التنظيم الحي الذي هو الجسد السري، ولكن أن "تكون مسيحياً" يعني قبل كل شيء الحوار مع الله، والعهد النهائي، والخضوع للمسيح بلا شروط وحيث يكون كل شيء

مشتركا". (أحاديث ص ١٦٠).

• ولو تساءلنا من أين يكن لهذا العهد مع المسيح أن يستمد قوته، فس نجد الأب كافريل يضع الافخارستيا في قلب هذا البعد، ويسارع في نفس الوقت إلى عدم عزل هذا السر عن العناصر الأخرى الضرورية في الحياة المسيحية: زرع الإيمان من خلال الاتصال الدائم بكلمة الله وصلاة التأمل والحب الحي والمجدي للقريب (راجع رسالة آذار ١٩٥٨).

ويحلّ الأب كافريل طريقة عيش الزوجين لسر الافخارستيا. فنجد في العدد المعنون (الزواج طريق إلى الله)، مقالاً جميلاً عن الزواج والافخارستيا. حتى لو تعجلنا قليلاً في التطرق إلى نقطتي الثانية، علينا ومنذ الآن أن نلخص فكر الأب كافريل في هذا الموضوع.

إنه ينطلق من تأمل كلمات يسوع في كفرناحوم: "من أكل جسدي وشرب دمي ثبت فيّ وثبت فيه" (يوحنا ٦: ٥٦-٥٧). ويتابع: "أيها الزوج، أيتها الزوجة، يا من تتناولون جسد المسيح وتشربون دمه، يا من تعيشون بحياة المسيح في نفوسكم وفي أجسادكم، يا من تثبتون فيه ويثبت فيكم، كيف لا تتحابون بحب مختلف تماماً عن حب البشر الآخرين، كيف لا تتحابون بحب قائم من بين الأموات؟".

ويغتني الاتحاد بين شخصين من خلال حياة المسيح التي يشتركون بها معاً بمعرفة بهيجة للأب ويتدفق الحب النبوي". فبالشراكة مع المسيح يتحول حب الزوجين بنعمة الافخارستيا، التي تؤمن له "التطهير وجدّة الحياة"، وتقوده إلى الرغبة بإشراك الآخر "بحب وفرح الله والقداسة" (ص ٢٥٣-٢٥٤).

ويتابع الأب كافريل بعمق أكبر مخاطباً الزوجين أنه إذا كان المسيح يجدد في القديس تقدمته الوحيدة في الجلجلة، فإنه، وهنا أنقل كلام الأب كافريل "لأنه يريد أن تنفذ تقدمته ذاته إلى الأعماق الجسدية والروحية لعائلتكم، لكي يخلق فيكم أيضاً حالة من التقدمة الدائمة للذات إلى الله الآب" (ص ٢٦١). وباختصار، وكما يعيش المسيح ذبيحته في الكنيسة خلال القديس، فإنه يرغب بعيشها في الأسرة التي تستعد دائماً لوهب ذات حقيقية: إذ يهب الواحد نفسه للآخر، ويقدمان بنفس الوقت حبهما لله الذي تلقوا منه كل شيء بالمسيح.

• ويعرف الأب كافريل أن يجدد وبعث معنى مجيء وحضور الأولاد في الأسرة. وقد تأثرت كثيراً بهاتين الجملتين اللتين استخرجتهما من الأحاديث:

"لقد جعل الخالق من الحب، المساعد الذي لا غنى عنه لأبوتته. فحباً بالحب، قيّد الله يديه: إذ لن يكون هناك نسل واستمرار إلا ذاك الذي يهبه إياه اتحاد الرجل والمرأة". وأضاف: "أيها الأزواج، تعرّفوا على خفقة قلب الله في هذه الرغبة الشديدة للطفل بكم" (ص ٤٤).

وهكذا فإن الخصوبة والقدرة على الإنجاب هما عطية من الله. إنها إشراك بأبوتته. وتشرك الرغبة في الإنجاب حب الزوجين وحب الله الحاضر في أسرهم. ويظهر الإنجاب والتربية، كما يقول الأب كافريل، الأغباه (الحنّة) التي يعيشها الشريكان والتي يملكان بنقلها (راجع الزواج طريق إلى الله ص ٢٨٨).

وعندما نتحدث عن التربية، فسيكون الامتياز للتربية الروحية. ويطلب الأب كافريل أن نضع من الأسرة،

جماعة "باحثين عن الله". باحثون يعاشرون الكتاب المقدس. ويصلون معاً ويدمجون في صلاتهم العائلية بعضاً من الصلاة الطقسية للكنيسة.

• هناك جانب يجب عدم إغفاله فيما يسميه الأب كافاريل "الحياة" السرية للزوجين المسيحيين، وهو معنى الخطيئة وغفران الله، لأنه يجب عدم الإغراق في مثالية روحانية الزوجين! إذ عندما تحلّ عدم الشفافية والتنافر وتختلف أشكال الشر التي تبعث على الانقسام، فعليهما حينئذ أن يكتشفان أنهما خاطئان. إن الإخفاقات في الحب تجعلنا نعي حقيقة كون الحب نفسه بحاجة للإنقاذ. ويخلص كافاريل إلى مقطع عنوانه "شركة خاطئة وتائبة ومغفورة لها" حيث يقول: "إذا وافق الزوجان على الاكتشاف المؤلم [بأنهما خاطئان] فإن جماعتهما الزوجية ستصبح جماعة تائبين في جماعة التائبين الكبيرة في الكنيسة، وسيلجأ إلى الرب الذي لا يشكّان بوجوده وعنايته. وهكذا يفتحان على الغفران ويولدان من جديد في الرجاء" (الزواج، هذا السر العظيم ص ٣٣٢-٣٣٣).

سر الزواج

• يشكل تأمل هنري كافاريل عن سر الزواج قمة الإرث الذي تركه لنا، حيث نجد بحثاً روحياً عميق الأغوار ولكنه يتسم باهتمام ثابت بقراءة واقع الحياة الزوجية على ضوء الاتحاد بالمسيح، عبر كلمات قليلة ركّز فيها على ما هو جوهرى وذلك في روما عام ١٩٥٩. "لا يمثل الزواج المسيحي الأسراري اتحاد الحب بين المسيح والكنيسة فقط، بل يُشرك الزوجين بهذا الاتحاد. وأريد القول أنه، بفضل سر الزواج، فإن الحب الذي يوحد المسيح بالكنيسة، هو نفسه الذي يعمل على توحيد وإحياء وإسعاد الزوج والزوجة" (أخويات عائلات مريم، انطلاق ورسالة العائلات المسيحية ص ٦١).

ويجب أن نبتعد عن مفهوم لن يرى في السر إلا مجرد عون من الله ليقوي أو يشفي الحب البشري. لأن ذلك يعني وضع النعمة في خدمة راحتنا الشخصية. وهذا لا يمنع الأزواج المسيحيين من تطوير كل الميزات الإنسانية لحياتهم الزوجية، وذلك لأن النعمة تعمل في واقع الحياة الزوجية لدفع الزوجين إلى القداسة.

• نحن نعلم أن الموضوع الجوهرى هو أن نرى، على إثر القديس بولس، أن الزواج يرتبط ارتباطاً وثيقاً باتحاد المسيح بالكنيسة. وقد رأينا في العهد القديم زواج الله مع شعبه. ويتساءل الأب كافاريل: "كيف يوحي الزواج باتحاد المسيح مع الكنيسة؟"

في البداية، يشكل الزواج بحد ذاته "سر اتحاد وألفة الأجساد والفهم والقلوب والنشاطات، وهذا يشير إلى اتحاد المسيح وأعضاء جسده. ويصل هذا الاتحاد إلى حد مشاركة الزوجين بالألم، لأن الصليب يمهر الاتحاد الكامل للمسيح مع البشرية. والزواج هو خصوبة أيضاً وإشعاع للحب على صورة كل ما جعله فينا المسيح بحبه اللامحدود. وأخيراً، فإنّ الفرح يقرب الزوجين المسيحيين من ربهما، "الفرح بمنعة لا يمكن لشيء أن يوقفها".

(راجع أحاديث ص ٦٩-٧٠).

إن خبرة الحب تسمح للكائن البشري أن يتأمل سر الله الذي يمثله زواج الابن بالبشرية. ولكن هناك المزيد، وأستشهد هنا بكلمات الأب كافاريل: "إن آخر كلمة لله عن الحب البشري، كلمة يمكن أن نرددها فقط لا أن نفسرها: إن الحب المكرس بالزواج كفيل بأن يُجري في قلوبنا بعضاً من هذه المحبة الإلهية التي توحد المسيح بالكنيسة". (ايبيد ص ٧١) مما ينجم عنه أن حياة الزوجين وأبوتهما وإشعاع حبهما ستساهم في رسالة المسيح والكنيسة.

يعبر سر الزواج عن اتحاد المسيح بالكنيسة، وهذا يحضّر لنقل هذا السر في الافخارستيا حيث يوجد "العطاء اللانهائي واكتمال الحياة" (ايبيد ص ٧٢).

● إن ساحة عمل النعمة الأسرارية، يقول الأب كافاريل، هي الرجل والمرأة مع كل ما يشكل واحداً معهما ويعطيها ديمومة وأولاداً ومتزلاً. وباختصار فإن حركة التجسد الخلاصية تستمر محوِّلة الزواج الكلي، بكل واقعه القانوني والجسدي والروحي، إلى سر [...] لدرجة أن الاتحاد الجسدي للرجل والمرأة يصبح جزءاً لا يتجزأ من السر. وهكذا فإن الحياة الزوجية لا تشفى وحسب بل تسمو وتقدّس، بل تصير مقدّسة (الزواج، هذا السر العظيم ص ٣١٥).

● وفي نفس السياق، يُظهر لنا هنري كافاريل سر الزواج الذي يتضمن، بشكل عميق جداً، الحضور الفاعل للمسيح، على أنه عنصر أساسي في بناء الكنيسة. فهو لم يؤسس فقط لخير المستفيدين منه، بل إن المسيح يأخذ الزوجين الذين يقدسهما ليجمع بينهما أحجاراً حية في كنيسته. فهو لا يخرجهما من العالم، بل حيث يكونان يهبهما نعمته التي تنفذ إلى أساس الأسرة. فبسرّ الزواج تصبح الأسر مشاركة في تكوين جسد المسيح في قلب المجتمع البشري الذي يكونون فيه.

ويبدو لي أن الأب كافاريل هو من أولئك الذين أشاعوا من جديد المفهوم التقليدي عن الأسرة المكرسة كخلية في الكنيسة، "بمعنى جماعة مسيحية صغيرة مرئية في كنف الجماعة الكبيرة التي هي الرعية، بل يزيد على ذلك يجعلها عنصراً حياً في المجتمع الروحي الكبير الذي هو الكنيسة" (ايبيد ص ٣١٧). وهذا يعني أن العائلة ليست مجرد فرع من الرعية أو من الكنيسة الجامعة، بل أن الأسرة تعيش في ذاتها الكثير مما يسم الكنيسة. فحيث توجد أسرة مسيحية، تبدأ حياة الكنيسة.

وقد عرض الأب كافاريل الشروط الواجب توافرها لكي يكون اجتماع المسيحيين كنيسة. وستجدون ملخصاً عن ذلك في الملف الملحق الذي سيوزّع عليكم، ويمكن لنا أن نذكر هنا جملة مختصرة أنقلها لكم بالحرف: "الكنيسة الصغيرة هي خلية في الكنيسة، والمسيح حاضر في الكنيسة الصغيرة. الكنيسة الصغيرة هي عروس المسيح وتحاوره. فالمسيح يستولي عليها ينتقل لها حبه المزدوج. فهي قد اكتشفت في المسيح وبالمسيح، وبالروح القدس الذي أرسله المسيح، وبالأب الذي يقودها إليه الروح القدس". (محاضرة ساو باولو. تموز ١٩٥٧).

الصلاة – الصلاة العقلية (التامل)

نعلم كم ركّز الأب كافاريل، وبكل قوته، ليقود العلمانيين إلى اختبار الصلاة. وقد كرّس لذلك آخر سنواته الأخيرة وأسابيع الصلاة المشهورة في تروسور – **Troussures**. ولنتذكر أيضاً ما كتبه عن الصلاة أو السهرات التي أحيها في باريس وفي الموتاليتيه **Mutualité** والتي أتبعها بلقاءات عديدة وحارة. وهنا سأتطرق بشكل بسيط لموضوع غاية في الأهمية لأنكم اختبرتم الغنى الروحي الكبير الذي أتاحه المؤسس للأخويات والكثير من العلمانيين.

● وكثيراً ما كان الأب كافاريل يلحّ على الطابع الحيوي للصلاة. فالحياة الأسرارية لا يمكنها الاستغناء عن الصلاة. وقد كتب في رسالة تشرين الثاني ١٩٥٢: "إن الافخارستيا في النفس التي لا تصلي، هي عبارة عن بذار في أرض غير محروثة، وبالتالي فلن تؤتي ثمرها".

وعندما قام بتحضير الحج إلى لورد في يوم العنصرة ١٩٥٤، انطلق من ملاحظة كان يرددها كثيراً: لقد وعد الرب أن يكون حاضراً في كل تجمع: حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة. ولكن يسوع قال أيضاً: إذا أردت أن تصلي... صلي إلى أبيك الذي في الخفاء. إنه يدعو إلى الصلاة الشخصية حتى في وسط حشد كبير من الحجاج: "إن الاكتفاء بالحضور وسط الجموع التي تحيط بالمسيح دون المحاولة لتحقيق لقاء شخصي أو إقامة علاقة شخصية معه، سيكون برهاناً على الكثير من اللامبالاة" نحوه (رسالة أيار ١٩٥٤).

يجب على كل واحد أن يلتزم هذا الدرب السري لأنه الوحيد الذي يساعد على اللحاق شخصياً بيسوع. "هذا الدرب السري والضيق لا يمكن لأحد أن يقودكم إليه. وعليكم أن تكتشفوه بأنفسكم. كونوا متواضعين وأطهاراً، كونوا مطيعين ومُصلين، كونوا مواظبين وسوف تلتقون بالمسيح". (ايبيد).

● يرى الأب كافاريل أنه يمكن بلوغ الصلاة التأملية في الحياة العامة (العلمانية)، سيما إذا كانت تتغذى بكلمة الله وبقية على علاقة مع الصلاة الليتورجية للكنيسة ومع الحياة الأسرارية. وقد قام بنشر افتتاحية رائعة عام ١٩٥٥، وتطرق إليها ثانية في أحاديث عن الحب والنعمة بعنوان: "الكثير من الإخفاقات". وكان يركّز دائماً على ما يجب فعله حيال فقدان الدينامية وحيال الفتور. وهنا يذكّرنا بثلاث "حاجات حيوية":

– الافخارستيا التي يجب ألا يدفعا المحيط المادي إلى تركها في حين أن يسوع اختار الخبز اليومي ليهبنا نفسه من خلاله.

– كلمة الله "الحية والخالقة": ليس مدهشاً أن تتراجع الحياة الإلهية – الإيمان والرجاء والمحبة – في من ينسى الإصغاء لإلهه الذي يكلمه".

– والصلاة لا تقل أهمية، فهي تخلص النفس من الاختناق [...] وهكذا يمكن لحيوية النفس التي تتغذى بخبز كلمة الله وخبز الافخارستيا أن تتمرس وتردّ على الله الذي كلمها وحببها لنفسها لذلك الذي سبق ووهبها ذاته. وهكذا ينشأ بين الله وبين النفس نوع من التبادل الحي، نوع من الشراكة يهفو إليها كل حب. ورويداً ورويداً،

تحوّل حياة المصلي إلى صلاة لأنه يصلي.

وكان الأب كافريل حاسماً في رده على الاعتراضات: إذا كنتم بحاجة إلى دليل، فنحن نقدمه لكم ويمكنكم أن تجدوا واحداً. ليس لديكم الوقت؟ ولكنكم تجدون الكثير منه للأكل والنوم، فلا تدعوا نفوسكم تموت من الجوع! (راجع أحاديث ص ١٢٨-١٢٩).

• ليس المكان مناسباً للقيام بدراسة عن التعاليم المستمرة للأب كافريل عن الصلاة. أنتم تعرفون مائة رسالة عن الصلاة التي نُشرت بعنوان حضور الله. وتعرفون أيضاً السهرات الخمس عن الصلاة الداخلية. وأودّ هنا أن أعطي الكلام إلى الأب كافريل لأنه يث الإشارة إلى خبرة الصلاة أكثر من الكثيرين. وسأورد ملاحظة صغيرة حول هذا الموضوع تتعلق بالترجمة خاصة، فكلمة **oraison** بالفرنسية قد لا تعني بالضرورة نفس المعنى الذي تعطيه اللغات الأخرى للصلاة. ولكي نفهم ذلك، هلمّ بنا نسمع ما يقوله الأب كافريل.

"الـ **oraison** تعني مغادرة هذه الضاحية الصاخبة لكياننا الذي أتحدث عنه. إنها التأمل، إنها تجميع لكل قوانا لنغوص في أعماق نفوسنا. وهناك على عتبة المقدس ليس أمامنا سوى الصمت والإصغاء. ولا يتعلق الأمر بإحساس روحي أو تجربة داخلية، بل يتعلق بالإيمان: الإيمان بحضور الله، عبادة الثالوث الحي بصمت، تقديم الذات والانفتاح على الحياة المتدفقة للثالوث، الاتحاد والمشاركة في عمله الأزلي.

"و قليلاً قليلاً، ومن عام لآخر، وعندما سيكون كياننا الروحي قد شُحذ بالنعمة، فسوف نصبح أكثر تحسّساً " لتنفس الله فينا " ولروح الحب. [...] وحينها ستضحى حياتنا الخارجية تجسيدا وإظهاراً لحياتنا الداخلية. ستضحى مقدسةً لأننا سنكون في أعماق كياننا متّحدين اتحاداً وثيقاً بالله القدوس " (مائة رسالة ص ١٢).

• هناك افتتاحية تعود إلى العام ١٩٥٧ وتحمل عنوان "الدفاع عن الصلاة" وقد تمت معالجتها وأدمجت بمائة رسالة رقم ٥/ تحت عنوان "حضور الله" وفيها يحدّثنا الأب كافريل بعمق أكبر عن طبيعة الصلاة العقلية: "أقول بجرأة أن الصلاة هي حديث مع الله" هذا ما كتبه اكليمينضس الاسكندري. [...] وترى القديسة تريزيا الأفيلية، أن "الصلاة العقلية" هي صلة صداقة نتحدث فيها وجهاً لوجه مع الله الذي نعلم أنه يجيبنا". [...] ويمكن لكلمات مثل محادثة وحديث أن تُثير نوعاً من الغموض من حيث أنها تعطي الانطباع بأن الصلاة تقوم وبشكل أساسي على الحديث الداخلي مع الله. والحقيقة أن الصلاة هي عمل حيوي يشمل الإنسان كله... إنها توجّه عميق للنفس، [...] إنها انتباه، وحضور للكيان برمته أمام الله جسداً وروحاً، ولكل القوى اليقظة في الإنسان".

وإذا ما تساءلنا عن أهمية الصلاة ودورها الحاسم، يجيبنا الأب كافريل: "لماذا للصلاة هذه القدرة العظيمة؟ إنّ ذلك يكمن في كونها ليست عمل الإنسان، بل هي عمل الله في الإنسان، عمل يشترك فيه الإنسان. كان المسيح يقول: "أنا وأبي نعمل باستمرار". فالمصلي يجمع في ذاته كل قوة العمل الإلهي ويهب ذاته لها ويتعاون معها مقدّماً لها الوسيلة للدخول في عالم كان مغلقاً أمامها" (مائة رسالة ص ١٦١).

- لقد لمسنا الإلحاح الكبير للأب كافاريل على مكانة الصلاة في حياة العائلة: الصلاة الزوجية، التي كثيراً ما تبدو صعبة جداً لكثير من الأعضاء. الصلاة العائلية التي لا يمكنها أن تحل تماماً محل صلاة الزوجين. الصلاة التي تحتل مكاناً جيداً في اجتماعات الأخوية. الغوص في الصلاة إبان الرياضات الروحية حيث يرين صمت مطبق يتذكره البعض بألم.

ودائماً وبدون كلل، كان الأب كافاريل يلح على الدعوة إلى الصلاة المرتبطة بالحياة الأسرارية وبحياة كل يوم. وعلينا الاستمرار بنفس الخط، لأن مخاطر ضعف حس الصلاة ليست قليلة الشأن في الوقت الراهن. ومن هنا كان من المفيد إعادة قراءة شرعة الأخويات.

إنشاء الأخويات – املقتضيات

من الواضح أن الجزء الأكبر من إرث الأب كافاريل يكمن في إنشاء أخويات عائلات مريم. وما انتشراها في العديد من البلدان – وحضوركم هنا شاهد على ذلك – إلا برهان على أن هذا الإرث حي. أودّ، في حدود هذا العرض، العودة إلى بعض أوجه نشاط الأب كافاريل في سياق ما عرضته حتى الآن. وسأعتمد على تدخلين اثنين للأب كافاريل: "أهداف الرابطة، وهي محاضرة أقيمت سنة ١٩٥٢ للمسؤولين. ومن ثمّ، محاضرة للمسؤولين الإقليميين الأوروبيين في شانتييلي chantilly عام ١٩٨٧، أي بعد أربعين عاماً من كتابة الشرعة.

وفي عام ١٩٥٢ تم عرض أهداف الرابطة في أربع نقاط:

– مدرسة حياة مسيحية: "امتلاك فكر الحياة المسيحية وماهيتها وغناها العقيدي" وخصوصاً اكتشاف الكتاب المقدس على ضوء التقليد. وفي أخويات عائلات مريم، يجدر بالأعضاء أن يحاولوا اكتشاف الحياة المسيحية برمّتها وبعظمتها، لأنه (على أعضاء أخويات عائلات مريم) أن يرغبوا بالعيش مع المسيح وبالمسيح وعلى غرار المسيح، على الصعيد الزوجي، وفي علاقاتهم مع أولادهم، وفي عملهم، وفي العالم، وفي الرعية، وفي أوقات الفراغ". ولا يقتصر الأمر فقط على "إقناع العقول"، بل التعاون لعيش الحياة المسيحية بكمالها والتعاون لعيش ما تم نكتشفه. يترتب كل شيء انطلاقاً من هذا التعاون. هناك تعاون مادي، تعاون حيال المصاعب الأخلاقية التعاون لاكتشاف أفضل، لكل أبعاد المحبة.

"تهدف كل وسائلنا والتزاماتنا في أخويات عائلات مريم والمشار إليها في الشرعة، تهدف إلى المساعدة على اكتشاف وتطبيق (ممارسة) كمال المحبة"، يضاف إليها المشاركة، وقاعدة حياة كل أسرة، وواجب المجالسة.

– مخبر لروحانية المسيحي العلماني المتزوج، وقد سبق وتحدثنا عن ذلك، مع الإشارة إلى كون الأعضاء مدعويين إلى التفكير في طريقة عيش "النصائح الإنجيلية"، في الزواج وفي الفقر وفي المعرفة. وعليهم دائماً أن

يعيدوا "تصويب حياتهم بالإنجيل".

– مركز انتشار. إن المساعدة على تحضير الشباب للزواج تشكل أحد الأهداف. وكذلك، وضمن ما يسمّى "بالدوائر المركزية"، يطلب الأب كافاريل من الأخويات، ليس فقط العمل على انتشارها هي، بل يدعوهم أيضاً إلى دعوة عائلات أخرى إلى هذه الروحانية من خلال المشاركة في الرياضات الروحية والمحاضرات.

– شهادة. إنها وببساطة شهادة المحبة الأخوية التي تتضمن روح كلمات يسوع: "بهذا يعرف الناس أنكم تلاميذي، إذا أحب بعضكم بعضاً" وتقول الشرعة: "ترغب العائلات أن يكون حبها الذي تقدّس بسرّ الزواج، تسييحاً لله وشهادة للناس، تثبت لهم أن المسيح قد أنقذ الحب وخلّصه...".

كثيراً ما احتج الأب كافاريل على اللوم الموجّه للأخويات لأنها تعتبر نفسها نخبة "منغلقة" على نفسها قليلاً. فلنسمعه يقول: "أودّ أن أدعوكم إلى الافتخار والتواضع بنفس الوقت، إلى الافتخار، لأن على عاتقنا مهمة يجب القيام بها، مهمة محدّدة، ولكنها مهمّة. [...] وأودّ بنفس الوقت أن تشعرُوا بفقْرنا بعمق، فنحن خطّاء، وبالتالي فليس لنا أن نفتخر بالمهمة التي أوكلت إلينا، بل على العكس، علينا أن نحسّ بثقلها. ولكن حذار، إذ يجب ألاّ يؤدّي التواضع والخشوع إلى فقدنا لشجاعتنا.

• وفي عام ١٩٨٧ وبعد خمس وثلاثين عاماً، باشر الأب كافاريل بإجراء تقييم. وقد كان مسروراً لحسن استيعاب وفهم الهبة المؤسّسة ابتداءً "بمصالح الحب والزواج" واكتشاف فكر الله عن الزوجين وعن كل واقع حياة الزوجين والعائلة. إنه يسيح الله "من خلال اتّحاد السّرين" سرّ الزواج وسرّ الكهنوت، وتعلمون كم من الاهتمام توليه الرابطة للحضور الفاعل للكاهن في الأخويات.

وقد أشار إلى ما لم يظهر بوضوح: فإلى جانب الحب، هناك إنكار الذات ووهب الذات ونسيان الذات. وأشار إلى أنه لم يتم البحث العميق في المعنى المسيحي للحياة الجنسية، فيقول: "يجب السير بالزوجين إلى كمال الحياة الجنسية". ويأمل أن تؤدّي مهمّة أخويات عائلات مريم في الكنيسة إلى تجديد مفهوم علم الإنسان والابتعاد عن تجاهل حقيقة تكامل الجنسين، وإلى رفض ثنائية الروح – الجسد وإلى تطوير التعاون للسير نحو القداسة، القداسة الفعّالة والنشطة التي تساهم في تطوّر الخليقة.

ويذكر الأب كافاريل بعض النقاط التي لم يكن من الممكن رؤيتها في الأجيال الأولى: الاهتمام بالعائلات التي لم تتلق التعليم الديني ولا تشارك بقداس الأحد، مسألة القواعد الأخلاقية التي تحظرها الكنيسة والتي تمارس بشكل غير صحيح. ومن جهة أخرى، يجدر الاهتمام بالذين يرغبون بالاستمرار بالسير بعيداً بعد عشرين أو ثلاثين عاماً من الحياة الزوجية، ومساعدة الأزواج على شيخوخة كريمة وعلى عيش التقاعد والاقتراب من الموت.

• وكنتمه لبعض هذه الإشارات عن معنى إنشاء الأخويات، يجدر بنا أن نذكر أيضاً واحداً من القرارات الهامة الذي سلّط تجمّعنا الضوء عليه وهو: نظراً لكون الرابطة قد انتشرت في الكثير من البلدان، فقد تم اتخاذ القرار بجمية الأخوية المسؤولة بالبقاء رابطة واحدة عبر الحدود.

"إن عبور أخويات عائلات مريم للحدود والمحيطات قد طرح مشكلة جديدة. هل يجب إنشاء إدارة وطنية مستقلة في كل بلد، أو الإبقاء على فكرة الرابطة الكبيرة ذات الإدارة الواحدة؟" وبعد أن تمت مناقشة الموضوع تم التصويت لصالح الرابطة الواحدة ولكن بصعوبة "ولا حدود على صعيد الروحانية" (دعوة وطريق ١٩٥٩) وسيلح الأب كافاريل على عالمية (أمية) الأخوية المسؤولة عن إدارة الرابطة، ولكنه سيلح أيضاً على الخضوع البنوي للسلطة الكنسية المحلية في كل بلد وفي كل أبرشية.

سيدتنا

وختاماً، أريد أن أطرح موضوعاً عزيزاً على الأب كافاريل، إذ ليس صدفة أن تبنت الأخويات اسم مريم، إذ إن الأب كافاريل كان يكنّ تقوى عظيمة تجاه أم الرب، وكثيراً ما أظهر ثقته بشفاعتها. وسأقتبس هنا بعض السطور من إحدى المقالات الافتتاحية حيث ينطلق من حقيقة حب المسيح نفسه لأمة: "من بين كل الخلائق وبحب متميز. الأولى بعد الآب. فهل يمكن ألا يخفق قلبي لحب العذراء إذا كنت فعلاً متحداً بالمسيح؟ [...] ولكن حذار، فحبنا للعذراء لا يمكن أن يكون مجرد عاطفة رخوة فاترة: إنه اندهاش أمام المع وأقدس الخلائق، إنه عرفان بنوي نحو أم تفوق كل الأمهات، إنه إرادة قوية لنيل رضاها ولمساعدتها في مهمتها الأمومية حيال كل البشر..." (رسالة أيار ١٩٥٢)

لم أفعل أكثر من الإعداد لبعض عناصر الإرث الذي تركه لنا الأب كافاريل. وصار لزاماً علينا، أن نجعل هذا الإرث يثمر. وتقوم مسؤوليتنا على التحضير، على أسس روحية متينة منسجمة مع تطور المجتمع وتحضير نقاط توجه تساعد أخويات عائلات مريم، على عيش العهد الجديد الذي يدعو إليه المسيح عائلات كل الأجيال.

